الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم: اللغة العربية وآدابها

تخصص: دراسات أدبية

رمزية الفضاء في رواية "تزيف الحجر" لإبراهيم الكوني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
شمود عديدي
دهوة مريم

إشراف الدكتور:
* ولد يوسف مصطفى

لجنة المناقشة

1-:د/ كحال بوعلي..... ..رئيسًا
2-: د/ ولد يوسف مصطفى..... ..... مشْرِفًا ومقرّرًا
3-: أ/ عبد الدايم عبد الرحمن.....عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2015/2014

كلمة شكر

نتقدم بخالص الشكر و جزيله إلى الأستاذ المشرف

ولد يوسف مصطفى

الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث

والذي لم يبخل علينا بنصائحه

و توجيهاته و آرائه النيرة

و إلى كل من ساهم في مساعدتنا على إنجاز هذا البحث المتواضع.

! " # $ %& ’ (&) *

, + #

-& . ! / 0

, + 1 2 0 (

3 ! + 4 5 %6# & 7 8 9 #

, : 7 0 ; & <

=7* % : 2 > &0 1’ 2# ? 8 -" 9 #

,0 %4 % & # @

, -A (B C* <

, &; 2 1 2 <4 9 # D% 2A9 A <

1A; #

إهداء

إلى من علمني مواجهة الحياة، إلى من زرع بذرة العلم في روحي

ولم يشهد قطافها،

إلى أبي العزيز اسكنه الله فسيح جنانه.

إلى من أرضعتني الحب و الحنان، إلى نور عيني و دربي أمي الحبيبة.

إلى من ساعدني في مشواري و منحني الإرادة و القوة لتحقيق أحلامي

زوجي الغالي عادل و كل أفراد عائلته.

إلى إخوتي و سند ظهري، وكل أفراد العائلة.

إلى من جمعتني معهن أيام حلوة و أخرى عسل إلى صديقاتي:

نعيمة، نصيرة، فتيحة، زهوة، تسعديت،**مـريم**،

إلى كل من يعرفني اهدي ثمرة عملي هذا.

عديدي

مقدمة

عرفت الحركة الأدبية العربية في العصر الحديث تطورا وازدهارا كبيرين، نتج عنه ظهور أجناس أدبية جديدة، ولعلّ أهم هذه الأجناس، الرواية التي تعتبر من الفنون الأدبية النثرية الحديثة، فهي بناء فني تسعى إلى تمثيل الواقع الاجتماعي للإنسان، وهي أكثر الأشكال الأدبية قدرة على التعبير، هذا ما جعل العديد من الكتّاب يميلون إلى هذا النوع من النثر فقد أخذت رواجا كبيرا في الوطن العربي وتطور سريعا على يد مجموعة من الروائيين، ومن بين هؤلاء الروائيين الذين ساهموا بشكل كبير في ازدهار وانتشار هذا النوع من الجنس الأدبي، نجد الروائي الليبي «**إبراهيم الكوني**»، الذي اتخذ من روايته "**نزيف الحجر**" التي تعتبر محل دراستنا، النموذج الساطع في سرد تفاصيل عالم الصحراء وحياة الطوارق، ويعبر فيها عن جمالية هذا الفضاء، الذي يكتسب أهمية كبيرة في الرواية، ويشكل أحد عناصرها الفنية الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك من خلاله الشخصيات، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، فعلى الرغم الاهتمام المتأخر الذي لقيه الفضاء عند نقاد العرب ومحاولاتهم في بناء درس واضح لهيكل الفضاء إلا أنّه غامض وقليل الاهتمام في دراستنا العربية.

لعلّ من بين الأسباب التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع، هو ذلك الاهتمام البالغ بهذا المكوّن الأدبي، والأهمية الكبيرة والبعد الجمالي الذي يضيفه على الرواية، وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع محاولات منا إثراءه بما توفر لدينا

من المادة العلمية والمصادر المختلفة وبناء على ذلك نصل إلى طرح الإشكالية التالية:

ما هي الفضاءات التي وظفها الروائي في الرواية؟.وفيما يتجلى الفضاء في رواية "نزيف الحجر"؟، و ما أهمية هذا المكوّن؟،

بما ان طبيعة الموضوع هي التي تتحكم في نوع المنهج المتبع، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج السميائي، وذلك من أجل تحليل محتوى النص الروائي.

ومحاولة للإجابة عن تساؤلات البحث وضعنا لهذا الغرض خطة تتمثل في مدخل قدّمنا فيه الرواية الليبية وهاجس الفضاء الصحراوي عند «**إبراهيم الكوني**».
وفصلين، فصل نظري وآخر تطبيقي، تطرقنا في الجانب النظري إلى مفهوم الفضاء وأهميته، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، حيث تناولنا في المبحث الأول مفهوم الفضاء (لغة واصطلاحا)، وفي المبحث الثاني الفرق بين الفضاء الروائي والمكان والحيز، أمّا المبحث الثالث فكان حول أهمية الفضاء الروائي وأنواعه.

أمّا الجانب التطبيقي فتناولنا فيه الفضاء الصحراوي معتقدا وأسطورة ودلالة، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول تضمن الفضاء الصحراوي والأسطورة وعلاقته بالمعتقد، وفي المبحث الثاني قمنا من خلاله بتحديد علاقة الشخصية بالفضاء الصحراوي، أمّا المبحث الثالث فتناولنا فيه الفضاء الصحراوي ودلائليته.

وككل البحوث أنهينا بحثنا هذا بخاتمة حاولنا من خلالها الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات التي طرحناها في البداية مع ذكر الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

واعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من الدراسات التي اهتمت بهذا المكوّن، من بين أهم هذه الدراسات بنية الشكل الروائي للناقد "حسن بحراوي"، فقد خصّص الجزء الأول منه للتعريف بهذا المكوّن، وأيضا ما قدّمه الناقد "حميد الحمداني" في كتابه "بنية النص السردي"، وكتاب "غاستون باشلار" "جماليات المكان" الذي يعتبر من الأبحاث الأولى التي نبهت إلى الاهتمام بهذا المكوّن، وبالإضافة إلى الكتاب القيّم (الشكل والخطاب) لمحمد الماكري الذي اهتم بشكل كبير بعنصر الفضاء، وكتاب "الفضاء ولغة السرد" لصالح إبراهيم.

ولا ننسى التوجه بالشكر الخالص للأستاذ المشرف: ولد يوسف مصطفى الذي كان نعم السند ونعم المرشد، لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه آملين أن نكون قد وفقنا ولو بجزء بسيط في بحثنا هذا.

مدخل:

الرواية الليبية وهاجس الفضاء الصحراوي عند ابرهيم الكوني

مدخل:

لقد عرف الأدب عدّة أنواع من الفنون، منها النثر والشعر والمقامة والرواية، التي كانت أكثر انتشارا ورواجا في الساحة الأدبية العربية ،فقام بكتابة الرواية عدة روائيين من مختلف الأقطار العربية فكانت الرواية الليبية هي الأخرى قد حققت نجاحا متميزا: " على الرغم من تأخر ظهورها بباقي الدول العربية الأخرى لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، فإنّ الروائي اللّيبي استطاع أن يواكب الحركة الأدبية في الوطن العربي وفي العالم، وأن يستوعب الثقافات والاتجاهات النقدية كلها كالقدر الذي يؤهله لصنع رواية عربية ليبية"[1]. فالرواية اللّيبية رغم الأسباب المختلفة التي أدت إلى عدم شيوعها إلاّ أنّ الأدب اللّيبي الحديث بصفه عامة والرواية بصفة خاصة باتت تطرح نفسها بوصفها مادة أولية للدرس والبحث الأكاديميين، ليس بهدف الدعاية والتشجيع ،وإنّما بهدف تطور مادتها وتنوع مرجعياتها الفكرية " وتقف الرواية الشاهد الأكبر على تطور الممارسة الإبداعية في ليبيا، فقد استطاعت في ظرف عشر سنوات من انطلاقتها أن تحتل صدارة المشهد الأدبي في ليبيا، كان هاجس الروائي البحث عن أفق ابداعي يستوعب حركة المجتمع الصاعد، ويؤطر منظور الذات وتطلعاتها، وحراك المجتمع وتنوعه، وزخم أفراده فكرا وعطاء، سلبا وإيجابا، ضمن دائرة إبداعية واحدة تجمع الذات والموضوع. فكان النص الروائي الاختيار والشاهد على تحولات الإنسان الليبي الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية والثقافية"[2].

---

[1] – يشير الهاشمي، خلفيات التكوين القصصي في ليبيا، دار الجماهرية للنشر والتوزيع طرابلس، ليبيا، ط1، دت، ص21.

[2] – محمود محمد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، دراسة في النقد الثقافي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن.دط، 2010، ص01.

استطاعت الرواية الليبية أن تحتل مكانة مرموقة وذلك لانفتاح أدباءها على فضاء التجريب، الأمر الذي دفع إلى غناها وتعدد مواضيعها وأساليبها الفنية. فالنّص الروائي الليبي ركزّ على تحولات الإنسان اللّيبي في جميع الميادين.

كان ازدهار ونمو الرواية الليبية على يد مجموعة من الروائيين، فقد كانت المدونة الليبية ما بعد الثورة " تركزت أعمالهم على الرواية التاريخية ورواية النضال الوطني، وقد امتد تأثير هؤلاء على كامل الحقبة السبعينية، كما تأثر الجيل الثالث بهم، حيث كتبوا في الثمانينات الرواية الواقعية والتسجيلية، مستحضرين الحقبة الملكية وأزماتها المحلية والخارجية"[1]. نلاحظ أنّ هؤلاء الكتاب تأثروا بالثورة، مما جعلهم لصيقين بموضوعات النضال والجهاد" ومع ظهور رواية "رجل لرواية واحدة" "لفوزية شلابي" سنة 1985م، وثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه سنة 1991م، اقترب المتخيل السردي من مجتمع ما بعد الثورة، وتخلصت المدونة الروائية الليبية من الكتابة عن الزمن الذي مضى، وأصبحت الكتابة الروائية منذ أواخر التسعينات، فضاءا مفتوحا على قراءة الواقع الاجتماعي، وتتبع تحولاته"[2].

ساهم هؤلاء الكتّاب بشكل كبير في ازدهارها وتطور الرواية الليبية أكثر فأكثر، وذلك من خلال فك قيود وسيطرة الثورة على كتاباتهم، وجعلهم ينفتحون على واقع المجتمع الليبي، ومن الجهود التي ساهمت أيضا في نهوض الرواية الليبية، تلك الدراسة التي قام بها "سمر روحي الفيصل" في كتابه "نهوض الرواية العربية والليبية "1990 "فهو أول من خصّص كتابا مستقلا في دراسة الرواية الليبية، فلاحظ ما يكتنف المنجز الروائي من إغفال، وذلك بالقول: المرء لمس من حواره مع بعض الأدباء

[1] – محمود محمد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص14.

[2] – المرجع نفسه، ص 15.

الليبيين شيئا من عدم الاعتراف بالرواية الليبية، مما يعوق الدراسات النقدية ويجعلها تتحلى بالريث والأناة قبل المغامرة بنقد جنس أدبي لم يكتسب الاعترافين الرسمي والشعبي"[1].

يعود الفضل إلى نهوض الرواية الليبية لتلك لجهود التي قام بها سمر روحي الفيصل، وذلك من خلال تخصيصه كتابا للرواية الليبية، وقام الباحث أيضا بدراسة ثانية عبّر فيها عن تفاؤله بنهوض الرواية اللّيبية في الثمانينات، مستندا في ذلك إلى دلالات الثبت الذي صنعه للرواية اللّيبية، ضم الثبت اثنتين وثلاثين رواية، صدرت أربع روايات منها في الستينات، وثلاث وعشرين في السبعينات، خمس روايات في الثمانينات، وبعد الفراغ من الكتاب تموز 1983 صدرت سبع روايات ليبية، الأمر الذي جعل عدد الروايات الصادرة في الثمانينات اثنتي عشرة رواية، ويتوقع الباحث أن تصدر روايات أخرى، مما يجسد تفاؤله بنهوض الرواية الليبية"[2].

أنجبت الرواية الليبية أسماء قليلة بارزة، وظلت محصورة بها، هذا ما دفع بعضهم إلى القول أنّ الرواية في ليبيا لم تنضج بعد مقارنة بالدول الأخرى. فالباحث سمر روحي الفيصل قدّم في كتابه معظم الروايات التي اشتهرت بها ليبيا وجمعها في مكان واحد مستندا في ذلك دلالات الثبت الذي صنعها للرواية الليبية، وقد جاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري: " الثبت من الاثبات إذا كان حجة لثقته لروايته، ووجدت فلانا من الثقات والاعلام والاثبات، وتثبت في الأمر واستثبت فيه أي تأنى"[3].

---

[1] – محمود محمد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص 18.

[2] – محمد علي البنداق، الرواية في ليبيا قراءة في النشأة والتطور، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، دط، دت، ص06.

[3] – أبي القاسم جار الله بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ، الجزء الأول، المحتوى، أبب، إبي، منشورات محمد علي يبضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 103.

مدخل

لقد تنوع المتن الروائي الليبي بفضل أعمال الروائي ابراهيم الكوني الذي رفع سقف المنجز الروائي إلى العالمية، فقد كان الروائي مهووسا بالفضاء الصحراوي، إذ نشأت معه علاقة حميمية لأنّه يمثل عنده أهمية قصوى في تشكل الفرد وأحاسيسه، وانفعالاته منذ الطفولة. فهذا الانتماء منذ ولادته نجده في معظم رواياته إذ يتحدث عن هذا العالم الصحراوي ومقوماته بصفة كبيرة، خاصة في رواية "نزيف الحجر" التي تمثل عنده النموذج الساطع في استقصاء عالم الصحراء، وتجسد صورة الطوارق التي ينتمي إليها منذ ولادته. تقوم هذه الرواية على ربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية الصمّاء، بوصفها مكانا جغرافيا متميزا بطبيعته الخلابة، ومناخه القاسي عن غيره من الأمكنة الطبيعية الأخرى التي تحمل مدلول الخصب والنماء في صورها الظاهرية لذلك " تستأثر الصحراء باهتمام منقطع النظير في عالم الكوني الروائي. فغضبها وصفاؤها وعتمتها وأمانها وغدرها يترك أثره الكبير في الأنية السردية بما في ذلك الشخصيات والأحداث واللغة[1]".

تعتبر الصحراء بعناصرها الطبيعية محل اهتمام الروائيين، فهي أكثر الأقاليم الجغرافية التصاقا بسكان المنطقة العربية. فقد توجهت الروايات العربية بصفة عامة، وروايات إبراهيم الكوني بصفة خاصة إلى تجسيد عالم الفضاء الصحراوي بوحي خبرته الثقافية في اكتشاف نمط تفكير ومعيشة الإنسان الصحراوي.

[1] – عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ،ط1، 2005، ص 570.

الفصل الأول:

مفهوم الفضاء وأهميته

المبحث الأول: مفهوم الفضاء لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: الفرق بين الفضاء الروائي والمكان والحيز

المبحث الثالث: أهمية الفضاء الروائي وأنواعه

I- مفهوم الفضاء:

يتدفق كم هائل من المصطلحات في هذا المجال في كثير من المعاجم والكتب الأدبية.

1- لغة:

جاء في معجم لسان العرب "لابن منظور" أنّ الفضاء هو المكان الواسع من الأرض حيث نجد أنّ فضا: الفضاء: المكان الواسع من الأرض والفعل فضا يفضو، هو فاض.

قال رؤيا:

أفرخ قيض بيضها المنقاض عنكم كراما بالمقام الفاضي

وقد فضا المكان وأفضى إذ اتسع وأفضى فلان إلى فلان، أي وصل اليه و أصله صار في فرجته وفضائه وحيزه"[1].

كما جاء في "أساس البلاغة للزمخشري" بمعنى فضو: أفضيت إليه بشقوري، وأفضى الساجد بيده إلى الأرض إذ مسّها بباطن كفه، وأفضيت بفلان: خرجت به إلى الفضاء نحو أصحرت: قال ذو الرمة من البسيط:

برّاقة الجيد واللّبات واضحة كأنّها ظبية أفضى بها لبب.

واشترى جارية فوجدها مفضاة: من فضا المكان يفضو فضوا، إذ اتسع فهو فاض، وأفضيته أنا: وسعته وجملته فضاء[2].

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف/ 1119، القاهرة، طبعة جديدة، تولى تحقيق لسان العرب نخبة من العاملين بدار المعارف، المجلد الخامس، ص 3430.

[2] – ابي القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء 02 ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط01، ، 1998، ص 27.

بناء على ما سبق نستنتج أنّ المعنى اللغوي لكلمة فضاء في المعاجم العربية يعني: مكان محدد (الحيز) وكذاك مكان واسع.

2. اصطلاحا:

يعدّ مصطلح الفضاء الأدبي من العبارات التي تداولتها الدراسات الحديثة، حيث نجد اختلاف الآراء حول هذا الموضوع. فهي عبارة عن اجتهادات لم تتطور بعد، ويمكننا أن نحصر الآراء المختلفة فيما يلي:

أ- عند الغرب:

ينطلق "غاستون باشلار" في كتابه "جماليات المكان من الفلسفة الظاهراتية" ليربط بشكل خاص بين المكان وعلاقته بالإنسان، والدلالة التي يمكن أن يؤديها تنوع أشكال المكان، ويركز في بحثه هذا على الأماكن التي ترتبط بحياة الإنسان في مراحل حياته المختلفة، ومستوياته الاجتماعية المتعددة فلا يبقى المكان مجرد أبعاد هندسية بل يحمل قيما حسية وجمالية ويدفع إلى التذكر والتخيل"[1].

يرى "غاستون باشلار"، أنّ هناك علاقة وطيدة ومتماثلة ومتوافقة بين المكان والإنسان. فالمكان عنده يحمل قيما جمالية.

تعدّ دراسة "شعرية الفضاء "1957" لغاستون باشلار" انّها الدراسة التي" نبهت النقاد والباحثين إلى أهمية المكان في الإبداع الروائي العربي فكان "غالب هلسا" هو أوّل الدارسين للمكان، وذلك في كتابه "المكان في الرواية العربية"، درس فيه التأثير المتبادل بين المكان والسكان، وأظهر أنّ

[1] – ينظر: عمر عيلان، الإيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دراسة سوسيوبنائية، دار النشر الفضاء الحر، الجزائر، سبتمبر 2008، ص 228.

المكان ليس ساكنا وأنّه قابل للتغيير بفعل الزمان، فقد درس باشلار جدلية الداخل والخارج وعارض بين القبو والعلبة وبين البيت واللابيت"[1].

يعتبر الناقد "باشلار" أول من نبه الباحثيين إلى مصطلح المكان، وهذا ما يتضح من خلال دراسته التي ارتكزت على الجدلية أو التعارضات الفضائية "ومن بين أهم الدراسات التي اعتنت بالفضاء وكشفت عن دلالته تلك التي قام بها "يوري لوتمان" في كتابه "بنية النص الفني" حيث بنى دراسته على مجموعة من التقاطبات المكانية التي ظهرت على شكل ثنائيات ضدية تجمع بين عناصر متعارضة وتعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث[2]".

قام "يوري لوتمان" من خلال دراسته على التقاطبات المكانية الضدية معتبرا أنّ الفضاء عنصرا فاعلا في الرواية.

ب- عند العرب:

لقد استعمل" حميد الحمداني" هو الآخر مصطلح الفضاء في دراسته وبحوثه عن المكان حيث إنّه مجموعة من الأشياء التي تحيط بنا مثل: المقهى، الشارع، الساحة، البيت، ...إلخ. وقد وضّح ذلك في هذه الفقرة: " إنّ مجموعة هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأنّ الفضاء أوسع وأشمل من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكوّن للفضاء، وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة، ومتفاوتة فإنّ فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنّه العالم الواسع

[1] – ينظر محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط .2005.ص 65، 67.
[2] – المرجع نفسه، ص 66.

الذي يشمل مجموعة من الأحداث الروائية فالمقهى، أو المنزل، أو الشارع، أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددا ولقد كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلّها، فإنّها جميعا تشكل فضاء الرواية"[1].

إنّ مصطلح الفضاء عند "حميد الحمداني" مرتبط بمجموعة من الأمكنة المحيطة بنا ،معتبرا الفضاء أوسع من المكان، فإذا كانت الرواية تشمل على جميع الأمكنة المذكورة في هذا القول فهي إذن تشكل فضاء الرواية. كذلك من بين الذين اهتموا بمصطلح الفضاء في كتاباتهم وبحوثهم النقدية، نجد "حسن بحراوي" في بحثه " بنية الشكل الروائي" فقد أعطى مصطلح الفضاء اهتماما بالغا حيث خصّص مبحث كاملا لنتعرف به وبنشأته وتطوره في الدراسات النقدية الغربية الحديثة، وقد استخلص تعريفا له بعد أن ذكر أراء عديدة وأفكار كثيرة عن الفضاء. ومما جاء في هذا التعريف قوله " ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات والشخصيات المشاركة فيها"[2].الفضاء عند الناقد "حسن بحراوي " هو تلك العلاقة الموجودة بين الراوي والشخصيات

II-الفرق بين المكان والحيّز والفضاء.

تطرقنا في المبحث الأول إلى مفهوم الفضاء الذي يطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي الذي تجري فيه الأحداث، فهو مكوّن أساسي للنص الروائي وعنصر بنائي وجوهري فيه. ولهذا سوف نقوم بتقديم مفهوم المكان والحيز ثم نتطرق إلى الفرق بينهما.

[1] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الدارالبيضاء، دط.1991، ص 63.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، دار النشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2009، ص 31.

أ- المكان:

1-لغة:

جاء في "لسان العرب": والمكان الموضع، والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع. قال ثعلب يبطل أن يكون مكانا فعالا لأنّ العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، ويقعد مقعدك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من كان أو موضع منه[1] فالمكان هو الموضع.

2- اصطلاحا:

يمثل المكان عنصرا مهما في حياة الإنسان، فهو لصيق به، ومقترن بوجوده على سطح الأرض، إذ هو عبارة عن موطن النشأة وله أهمية كبيرة فمنه ينطلق وإليه يعود. وهذا ما يؤكده الباحث "موسى ربابعة" في قوله: " فهو المأوى والانتماء ومسرح الأحداث حتى إلى هذا المكان الذي ينتمي إليه الانسان يتخذ في بعض الأحيان طابعا مقدسا لأنّ العلاقة بين الانسان والمكان علاقة متجذرة"[2]. يبرز لنا الباحث" موسى ربابعة" أهمية المكان التي لا تخفى على أحد لما يقوم به هذا المكون من دور رئيسي في حياة الإنسان.

ويعرف "يوري لوتمان" المكان فيقول: " المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر والحالات والوظائف أو الأشكال المتغيرة ...إلخ) التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الاتصال، المسافة، ...إلخ) ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة عامة، وهي أننا إذا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المعطاة على أنّها مكان يجب أن تجرد هذه

[1] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، مادة مكن، ص 4250 – 4251.

[2] – موسى ربابعة، جمالية الأسلوب والتلقي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2008، ص 74.

الأشياء من جميع خصائصها ما عدا تلك التي تحددها العلاقة ذات الطابع المكاني التي تدخل في الحسبان"[1].

يشبه المكان في الرواية المكان في الواقع، فهو مكان متخيل ولكنه متشابه في الظواهر والحالات والأشكال... إلخ. كأنّ المبدع يخلق له مكانا خاصا به في العمل الإبداعي مواز به، ومتشابه للمكان في الواقع. أي أنّ العلاقة التي تقوم في المكان المتخيل تتشابه إلى حد ما العلاقة المكانية المألوفة، لاعتبار الأشياء المعطاة في العمل الابداعي على انّها مكان يشترط أن تتجرد من جميع خصائصها التي تميز الطابع المكاني.

ويرى "يسين النصير المكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية في العمق، والمكان يلد السرد قبل تلده الأحداث الروائية بشكل أعمق وأكثر أثراً"[2]. يعتبر الباحث "يسين النصير" المكان هو الذي يؤسس الحكي فهو يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، وبالتالي لا يمكن تصور عمل أدبي بدون مكان.

ب- الحيّز:

1-لغة:

الحّيز من التحوز يعني: التلبث والتمكث، والتحيز والتحوز: وهو تفعيل من حزت الشيء، والحوز من الأرض أن يتخذها رجل ويبين حدودها ويستحقها، فلا يكون لأحد فيها حق معه[3].

---

[1] - عبد الرحمن منيف، المكان ودلالته في رواية مدن الملح، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص40.

[2] - يسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية بغداد، ط1، 1986، ص 65.

[3] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، مادة حوز، ص 1046.

2-اصطلاحا:

يعتبر مصطلح الحّيز من الألفاظ المرادفة أو المتعلقة بلفظة المكان التي حظيت باهتمام دارسي المكان في الأدب ومن بين الذين اهتموا به نجد الباحث "كريم رشيد"، " فالحّيز عنده يشير إلى الصلة بين الأجسام داخل المكان، وهو فراغ ذو ثلاثة أبعاد"[1]. كما نجد من بين الباحثين الذين فضّلوا مصطلح الحّيز على نظيره الفضاء " عبد المالك مرتاض " إذ يرى أّنّ مصطلح الفضاء يوحي بمعاني الخواء والفراغ، فنعته بالقصور أمام الحّيز الذي يحمل وفق معاني الامتلاء والثقل، فيقول: " لقد أطلقنا عليه مصطلح الحيّز مقابلا للمصطلحين الانجليزي والفرنسي (espace, space) وأنّ مصطلح الفضاء قاصر بالقياس إلى الحيّز"[2].

كنتيجة لتباين واختلاف وجهات النظر حول هذا المفهوم نجد الباحث" كريم رشيد" الحيّز عنده متعلق بلفظة المكان في حين نرى الباحث "عبد المالك مرتاض" يفضل استعمال مصطلح الحيّز على الفضاء.

2. الفرق بين الفضاء والمكان والحيّز:

تعتبر الرواية مجموعة من الأحداث الوقائع تعتمد على عناصر أساسية تتمثل في الشخصية والأحداث والبيئة الزمانية والمكانية. ويلعب المكان الروائي دورا بارزا في تماسك والتحام النص السردي، على الرغم من ذلك نجد اشكالية التعددية في الرؤى والاختلاف الحاصل بين الباحثين والدارسين في تعاملهم مع هذا المصطلح وهذا ما يفضي اشكالية التعدد في المفهوم (الفضاء، المكان، الحيّز)، ومن

[1] – كريم رشيد، المكان، الفضاء، الحيز من أجل فك الاشتباك الاصطلاحي، مجلة عمان، ع 43، كانون الثاني، 1999، ص 7.

[2] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد عالم اللمعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت. دط، ديسمبر 1998، ص 121.

بين الباحثين الذين قاموا بتحديد الفرق بين هذه المصطلحات نجد "حميد الحمداني "في كتابه "بنية النص السردي" حيث مّيز بين المكان والفضاء كمصطلحين سرديين فيرى أنّ " الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل من المكان، إنّه مجموعة من الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية"[1].

يفضل "حميد الحمداني" استعمال الفضاء الروائي بدل المكان الروائي لأنّ الفضاء عنده أوسع وأشمل من المكان.

ونجد الباحث "حسن بحراوي" يوافق "حميد الحمداني في التفرقة والتميز بين الفضاء والمكان وهذا ما نستنتجه من خلال كتابه "بنية الشكل الروائي"، إذ يعد المكان منطلقا لتشكيل الفضاء، فقط نظر إليه "بوصفه شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشيد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"[2].

يفضل الباحث "حسن بحراوي" استعمال مصطلح المكان على مصطلح الفضاء، أمّا الباحث "عبد المالك مرتاض" فقد ميّز بين المكان والحيّز "وإذا كان للمكان حدود تحده وله نهاية ينتهي إليها فإنّ الحيّز لا حدود له ولا انتهاء فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطريه كتّاب الرواية فيتعاملون معه بناءا على ما يودون من هذا التعامل حيث يغتدي الحّيز من بين مكونات البناء الروائي كالزمن والشخصية واللغة ..."[3].

استعمال "عبد الماك مرتاض" لمصطلح الحّيز كان نتيجة اتساع مصطلح الفضاء، وضيق مصطلح المكان.

---

[1] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 64.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 32.

[3] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 125.

كما يفرّق أيضا "سمر روحي الفيصل" في كتابه " الرواية العربية، البناء والرؤيا" بين المكان والفضاء، حيث يرى الأول ذو طابع محدود أمّا الثاني ذو طابع شمولي، وكذلك أنّ المكان يتصف بالسكون والثبات، في حين أنّ الفضاء يتميز بالحركة، ولذلك نجده دوما " يحتاج إلى أمكنة عدّة ذات بنية نابضة بالحركة والفعل"[1].

وهذا يعني أنّ الفضاء الروائي يتميز بالحركة والحيوية، كما نجد أيضا الباحث" سعيد بنكراد" في كتابه " السميائيات السردية" الذي يفرّق بين الفضاء والمكان وهذا من خلال قوله: " وعليه فإنّ الفضاء الروائي يتشكل من خلال الحركة التي تضفيها الشخصيات على الأمكنة بالانتقال من مكان إلى آخر"[2].

نلاحظ من خلال هذا القول استعمال "الناقد "سعيد بنكراد" مصطلح الفضاء بدل المكان، فهذا الأخير يعد جزء من الفضاء إذ نجد أنّ الفضاء يتداخل مع المكان.

III. أهمية الفضاء وأنواعه:

أ- أهمية الفضاء:

لقد احتل مكون الفضاء مكانة هامة ضمن بنية الرواية هذا ما دفع بعض الباحثين إلى إدراكهم لمدى إغفالهم وتقصيرهم لهذا المكوّن في مختلف الدراسات التي تناولت الرواية. ثم جاءت دراسات فيما بعد تنبه بأهمية الفضاء أو المكان المقترن به.

[1] – سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. دط، 2003، ص 85.

[2] – ينظر:سعيد بنكراد، السميائيات السردية، منشورات الزمان، الرباط.دط، 2001، ص 23.

يقول "يوري لوتمان": " المكان يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب ولم يعد مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية كما لا يعتبر معادلا كنائيا للشخصية الروائية فقط، ولكن أصبح ينظر إليه على أنّه عنصر شكلي وتشكيلي من العناصر الأدبية هذا بالإضافة إلى أنّ المكان كان ولا يزال يلعب دورا هاما في تكوين الكيان الجماعي وفي التعبير عن المقومات الثقافية في جميع أنحاء العالم"[1].

يمثل المكان عنصرا هاما في الرواية إذ أصبح غاية من غاياتها، إذ لا يمكن تصور أية رواية بدون فضاء الذي تسري فيه الأحداث ضمنه، لأن هذه الأحداث تفترض دائما استمرارية المكان.

ومن أهميته كذلك أنّه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح: " وطبيعي أنّ أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلاّ ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني"[2].

كل رواية أو حدث روائي يفترض وجود مكان أو فضاء.

أمّا الباحث "هيام شعبان" فتتمثل أهمية المكان في قوله: "إذا كان المكان يشكل الوعاء الذي جمع شتات النص ويربط وحداته وعناصره ويمثل جزءا هاما من رؤية الكاتب للعالم"[3].

المكان جزء أساسي في الرواية، إذ يقوم بجمع عناصر النص وتلاحم أجزائه.

---

[1] – عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص 91.

[2] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65.

[3] – هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال نصر الله، دار الكندي، دب، دط، 2004، ص 290.

ويقول الناقد "غالبا هلسا" في إلحاح مسألة المكان عليه وفي بيان أهميته في تشكيل العمل الأدبي: " إنّه حيث يفتقد المكانية فهو يفقد الخصوصية وبالتالي أصالته"[1].

يبيّن "غالب هلسا" أهمية المكان بالنسبة للرواية، إذ يرى أنّ الرواية التي تفقد المكان هي رواية تفقد الخصوصية والأصالة ولهذا المكان أو الفضاء أصبح شرطا لازما في العمل الروائي، من أجل أن يبني عليه عالمه وابداعه.

أمّا الباحث "هنري ميتران" يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنّه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقية"[2].

المكان هو المؤسس الحقيقي للحكي حيث أنّه عندما نذكر مكانا ما وهو حقيقي، أي موجود في قصة أو حكاية خيالية، يجعلنا نشعر أنّ القصة حقيقية، والمكان يصنع جانب آخر مماثل للحقيقة وكأنّ المكان مرآة واقع خيالي.

ب- أنواع الفضاء:

يعتبر المكان مرتبطا بالإنسان ومقترن به في كل مراحله الحياتية ، فقد عاش فيه و يموت فيه يفرح لامتلاكه مكانا محبوبا ويحزن لفقدانه ذلك، هذا ما جعل الروائيون يبرزون جماليات أمكنتهم وإحاطتها بالعناية لتحقيق رغباتهم والوصول إلى مرادهم. يقول "حميد الحمداني في هذا الصدد: " إنّ الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء حديثة العهد، ومن الجدير بالذكر أنّها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة عن الفضاء المكاني مما يؤكد أنّها أبحاث لا تزال فعلا في بداية الطريق ثم إنّ الآراء التي

[1] – باشلار غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط6، 2006، ص 5-6.

[2] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65.

نجدها حول هذا الموضوع هي عبارة عن اجتهادات مفرقة لها قيمتها ويمكنها إذا تراكمت أن تساعد على بناء تصور متكامل حول الموضوع"[1].

هذا يعني أنّ هذه الدراسات الموجودة حول هذا الموضوع لم تقدم مفهوما واحدا للفضاء، بل أسفرت عن وجود أشكال مختلفة للفضاء الروائي، ويمكن أن نحصرها فيما يلي:

1. الفضاء الجغرافي:

يتفق معظم الباحثين على أنّ الفضاء الجغرافي هو الحيّز المكاني الذي يعتبر نقطة انطلاق في الرواية منه يبدأ الروي وإليه ينتهي، إذ يعرّفه الناقد "محمد عزام" في قوله: " هو الحيّز الذي يتحرك فيه الأبطال كأماكن الانتقال العامة، والقرية والمدن، الجبال، السهول"[2].

نلاحظ أنّ الباحث"محمد عزام" يربط الفضاء الجغرافي بكل مكان واقعي حقيقي بمختلف أنواعه الذي تتحرك فيه الشخصيات. أمّا "حميد الحمداني فيعرفه على أنّه: " الحيّز المكاني في الرواية أو الحكي عامة"[3].

هناك من يعتقد أنّ الفضاء الجغرافي يدرس في استقلال كامل عن المضمون في حين أنّ الناقدة "جوليا كرستيفا" لم تتحدث عن الفضاء الجغرافي " لم تجعله أبدا منفصلا عن دلالته الحضرية فهو إذ يتشكل من خلال العالم القصصي يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له، والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم وهو ما نسميه إيديولوجية العصر"[4].

---

[1] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص 53.

[2] – ينظر: محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص 73–74.

[3] – حميد الحمداني، المرجع السابق، ص 53.

[4] – المرجع نفسه ، ص 54.

من خلال هذا القول تشير الباحثة إلى أنّ الفضاء الجغرافي غير منعزل عن المضمون فهو متعلق ومرتبط به.

أمّا الفضاء الجغرافي عند الناقد "سعيد يقطين" فليس سوى التمثيل الذهني المتخذ من الفضاء، أي فضاء، ولا يعني بأي حال مطابقة للفضاء الجغرافي الخارجي، إنّ ما يقودنا إلى اتخاذ هذا الموقف ينبع أولا من التصور السردي العام الذي نأخذ به من جهة، ومن جهة ثانية لانطلاقنا من أنّ الفضاء في العمل الحكائي أساسه هو اللّغة، لذلك فمهما كانت درجة واقعيته أو حضور مرجعه الخارجي فإنّه يظل تمثيلا ذهنيا للفضاء"[1].

الفضاء عند الناقد"سعيد يقطين" يفوق ما هو مادي، ويتعدى المجسد إلى ما هو تخيلي، وذهني، أي لا يتطابق مع الفضاء الجغرافي. ترى الباحثة "فتيحة كحلوش": " المكان الجغرافي هو الذي تدور فيه الأحداث أو المكان الذي يغري الشاعر فيتحول إلى موضوع تخيل، وهو غالبا ما يحدد جغرافيا من طرف الكاتب، فإذا ذكر اسم المدينة أو المنطقة أو الركن فنحن ندرك تلقائيا الحدود الجغرافية لهذه الأماكن، وينبغي لنا أن نشير إلى أنّ المكان الجغرافي يكتسب داخل النص أبعاد نفسية، واجتماعية تاريخية وعقائدية"[2].

يتمثل المكان الجغرافي عند الباحثة "فتيحة كحلوش" في الموضوع التخييلي وهذا المكان يحدده الكاتب وتكمن أهمية النص هنا في قدرة الشاعر على خلق السياقات المختلفة وكذلك الأبعاد التي إذا استرجعناها استرجعنا المكان نفسه.

[1] – سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1997، ص 240.

[2] – فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، النتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 23- 24.

ب- الفضاء الدلالي:

الفضاء الدلالي هو ذلك الفضاء المتعلق بالصورة المجازية ويرتبط بالدلالة التي تنتجها اللغة في النص، بمعنى أنّه فضاء يتجاوز الحدود المكانية الطبيعية إلى ما هو رمزي وإيحائي وهذا ما أّكده الباحث "محمد الماكري" في قوله: " الفضاء الصوري معطى للرؤية، والتأمل المتأني"[1].

بمعنى أنّ الفضاء الدلالي يستدعي الوقوف والتأمل لفترة طويلة من أجل إدراكه لأنّه ملئ بالإيحاءات والرموز وبالتالي فهو: " يقتضي من المتلقي جهدا تأويليا مزدوجا"[2].

الفضاء الصوري عند "محمد الماكري" مرتبط بالمجازات والإيحاءات وعلى المتلقي أن يبذل جهدا من أجل التأويل. أمّا الناقد"جيرار جينت" فهو أيضا يسمي هذا النوع بالفضاء التصوري ويقول: "إنّ الصورة هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنّها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى"[3].

الفضاء الدلالي عند "جيرار جينت" مرتبط بالصورة المجازية ويعرفه أيضا على أنّه: " يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام"[4].

الفضاء الدلالي يجمع بين المدلول الحقيقي والمجازي وترى الباحثة "فتيحة كحلوش" أنّ الفضاء الدلالي هو : " أنّ الأمكنة الموظفة في نص من النصوص الشعرية تتجاوز دائما واقعيتها بمجرد تحولها إلى جسد لغوي خارج فعل المخيلة"[5].

---

[1] – محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 242،

[2] – المرجع نفسه، ص 249.

[3] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 61.

[4] – المرجع نفسه، ص 62.

[5] – فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص السردي، ص 25.

يتجاوز الفضاء الدلالي ما هو واقعي وحقيقي ليشمل ما هو مجازي، رمزي وخيالي. الذي تصوره الأمكنة المختلفة ويقول "تودوروف" في كتابه "مفاهيم سردية" عن الفضاء الدلالي "الكلمة ليست معاني ثابتة، والواحد منها يمنع إجراء الآخر لكنها جوهر دلالي شرطي يتحقق بطريقة مختلفة في كل سياق"[1].

وهذا يعني أنّ عملية التلقي تكون غير مباشرة وقد تتأثر بكل ما يحيط بها.

ونستنتج من خلال كل هذا أنّ الفضاء الدلالي هو فضاء يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي فهو مرتبط بالصور المجازية، الرمزية، الإيحائية. على المتلقي أن يبذل جهدا تأويليا من أجل فك معاني النص.

ج- الفضاء النصي:

هذا النوع من الفضاء لقي اهتماما واسعا وكبيرا من قبل الباحثين والدارسين، وذلك من خلال القيام بدراسته والبحث في مستوياته. ويقصد به: "الحيّز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرف طباعية، على مساحة الورقة، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطالع، وتنظيم الفصول، وتغيرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها"[2].

يتمثل الفضاء النصي في الكتاب وكل ما يحتويه. ومن الذين انصب اهتمامهم بهذا النوع من الفضاء وقدّموا اهتماما خاصا به نجد الباحث "ميشال بيتور" وهو يقدم تعريفا هندسيا خاصا للكتاب:

[1] - تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005، ص 84.

[2] - حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 55.

"إنّ الكتاب كما نعهده اليوم، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثية، وفقا لمقياس مزدوج، هو طول السطر وعلو الصفحة، والبعد الثالث الذي يتحدث عنه هنا هو سمك الكتاب"[1].

الفضاء النصي له ابعاد مكانية، لكنّه يتعلق بالمكان الذي تقوم به الكتابة على الورق، وتنظيم الفصول والغلاف، وتصميمها، كما يعتبره أيضا: " فضاء مكاني لأنّه لا يتشكل إلا عبر المساحة، مساحة الكتاب وأبعاده غير أنّه مكان محدود لا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال، فهو مكان تتحرك فيه – على الأصح– عين القارئ. هو إذن بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"[2].

الفضاء النصي لا علاقة له بالمكان وغير مرتبط به، فهو فضاء مرتبط بالكتابة وما تحويه من مفارقات وتطابقات التي تصنع هذا الفضاء النصي "الكتابة في التجلي الكامل للخطاب"[3].

وهذا يعني أنّ الكتابة هي التي تجسد للخطاب كمفهوم مجرد.

كخلاصة القول نستنتج أنّ الفضاء النصي متعلق بالمكان التي تشغله الكتابة على الورق، وكيفية تنظيم الفصول والغلاف وتصميمها. وغير مرتبط ارتباطا كبيرا بمضمون النص

4– الفضاء كمنظور أو رؤية:

الفضاء كمنظور أو رؤية يتمثل في ذلك الفضاء الذي يقدم لنا وجهة النظر أو الرؤية التي ينظر عن طريقها الكاتب إلى عالمه الحكائي، وتقول "جوليا كرستيفا" في هذا الصدد: " هذا الفضاء محول

[1] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص 55.

[2] – المرجع نفسه، ص 56.

[3] – بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2003،1، ص 56.

إلى كل، إنّه واحد، وواحد فقط مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة"[1].

ترى الناقدة "جوليا كرستيفا" أنّ هذا النوع من الفضاء شامل، يشبه زاوية الرؤية أو نظر الراوي إلى عمله الروائي" يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح"[2].

وهذا يعني أنّ الراوي هو المسيطر على عالمه الحكائي، إذ يقوم بالدور الرئيسي والأساسي في الرواية.

أمّا الباحث "سعيد يقطين" فيرى وجود علاقة بين الفضاء المكاني والشخصية إذ يقول: " فالشخصية المتميزة تقدم بناء ملامحها ومكوناتها تدريجيا ولا تكتسب أبعادها الخاصة من خلال علاقتها بالفضاء"[3].

يتضح لنا أنّ الراوي يستطيع تحريك شخصياته بحرية والمكان هو الذي يوضح لنا ملامح تلك الشخصيات. لهذا يمكن اعتبار المكان عنصرا مهما في الرواية، والراوي هو الذي يتحكم فيه. لهذا فالمكان عند "ويليك ووارين" : " يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحنى الدرامي الذي يتخذه"[4].

---

[1] – حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 61.

[2] – المرجع نفسه، ص 62.

[3] – سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، (من أجل وعي جديد للتراث)، المركز العربي الثقافي، الدرا البيضاء، ط1، 1992، ص65.

[4] – صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، ص56.

فالمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو الهدف من وجود العمل كله.

وكخلاصة لأهم التصنيفات التي عرفها الفضاء، من فضاء جغرافي يشمل على مجموعة الأمكنة التي تظهر في النص السردي وفضاء دلالي مرتبط بالدلالة التي تخلقها اللغة في النص، وفضاء نصي المتعلق بالمكان الذي تشغله الكتابة على الورق، وفضاء الرؤية الذي يتجلى من خلال الراوي وعلاقة الشخصية بالمكان.

الفصل الثانـي:

الفضاء الصحراوي معتقدا وأسطورة ودلالة

المبحث الأول: الفضاء الصحراوي والأسطورة وعلاقته بالمعتقد

المبحث الثاني: علاقة الشخصية بالفضاء الصحراوي

المبحث الثالث: الفضاء الصحراوي ودلائليته

I- الفضاء الصحراوي والأسطورة وعلاقته بالمعتقد

أ- الفضاء الصحراوي:

يختلف الإنسان عن غيره من الكائنات في أنّه لا يستسلم للطبيعة فيتقبلها كما هي، لذلك نجد أماكن متعددة (مدينة، صحراء) لا نستطيع النظر إليها إلاّ من زاوية واحدة، فالصحراء نقيض المدينة لأنّ المدينة غالبا ما ترتبط بالفضاء الواقعي المادي الفوضوي. حيث نجد الصحراء عالم اللاواقع، عالم أسطوري روحي يؤمن بالأصل والأساس لمنبع الإنسان لتمسكه بالعادات والتقاليد. " الصحراء عمق ثقافي ومعتقدي لأبناء المنطقة العربية"[1]. أي أنّ الإنسان يستمد ثقافته وأصالته وحضارته من الصحراء، فالصحراوي في "بيئته الصحراوية سريع الغضب ثائرا، عصبيا، متعصبا، يريد الإيجاز في القول والعمل وطلب الرزق وإنهاء المشكلة العارضة.... فإذا سمع صوتا مخيفا ينبعث في ظلمة الليل البهيم تخوّف المخاوف وتصوّر التصاوير، وقد يرى في الشجرة شكل جنية وقد يتمثل كثيب الرمل غولا فاغرا فاه، ومن هذا الرعب المسيطر على صحرائه المخيفة، ولدت فكرة الخرافات في رأسه"[2]. فالصحراوي سجين واقعه المحدود ونمط تفكيره مستمد من نمط معيشته.

أمّا التركيب الجغرافي للفضاء الصحراوي فيتمثل في شساعة الفضاء المكاني للصحراء وقسوة مناخها، كحرقة الشمس وتميزها بالكثبان الرملية أدى بسكانها إلى التيه والضياع والجفاف والقحط، ورغم هذه الظروف الطبيعية القاسية عاش العربي فيها وصمد أمام كل هذه العوامل، وتعايش معها واتخذ من الجمل وسيلة للنقل باحثا عن قوته، " ولذلك تعاملت معها الرواية العربية بعمق

[1] – صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدرا البيضاء، ط1، 2003، ص 14.

[2] – ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ، ط1، سبتمبر 1994، ص 64-65.

وشمولية"[1]. لاحتواء الصحراء على عالم الأساطير والخرافات والممارسات الطقوسية الظاهرة في العادات والتقاليد.

ب. المعتقد: تصور لنا رواية "نزيف الحجر "لإبراهيم الكوني البيئة الصحراوية التي تعرف لنا حياة شعوب الطوارق، فتعرض عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم المقدسة التي تعد من مقومات وسمات تلك الشعوب.

ج. الأسطورة: تتعدد تعريفات الأسطورة تعددا واسعا. من بين هذه التعريفات نجد أنّ الأسطورة هي " رواية أفعال إله أو شبه إله لتفسير علاقة الإنسان بالكون أو بنظام اجتماعي بذاته، أو عرف بعينه أو بيئة لها خصائص تنفرد بها"[2]. ربط الأسطورة بعلاقة الإنسان بالكون أو " هي مظهر لمحاولات الإنسان الأولي كي ينظم تجربة حياته في وجود غامض إلى نوع ما من النظام المعترف به"[3]. وتنقسم في نشأتها إلى ثلاثة نظريات:

1. **الأسطورة والطقوس السحرية والدين**
2. **الأسطورة والتاريخ والواقع**
3. **الأسطورة والرمز**[4].

[1] – صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، ص 14.

[2] – نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق .دط، 2001، ص 12.

[3] – المرجع نفسه، ص 12.

[4] – نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ص 24.

وبهذا يمكن إطلاق أساطير على خرافات العرب سواء ما تعلق منها بعبادتهم وتقاليدهم الطقوسية.

الفضاء الصحراوي وعلاقته بالمعتقد الأسطوري في رواية نزيف الحجر:

يعتبر "إبراهيم الكوني" من أهم الروائيين الليبيين الدّارسين للفضاء الصحراوي في الرواية العربية، خاصة في روايته "نزيف الحجر" بحكم أنّه عاش في المنطقة الصحراوية فهي العالم الذي تنصب فيه جميع أعماله ، فقد أخذ يوحد بين الطبيعة مع الإنسان والحيوان في جو أسطوري في عالم واحد، ومكان واحد، وهو عالم الصحراء. "الصحراء كنز مكافأة لمن أراد النجاة، من استعباد العبد وأذى العباد. فيها الهناء، فيها الغناء، فيها المراد"[1]. وهو يمثل المكان الجغرافي الوحيد في الرواية، إذ ركز على تصوير هذا العالم المدهش الذي يبدو ظاهره قاحلا وجافا لكنّه استطاع بقدرته الفنية أن يجعله فضاءا أسطوريا ثريا برموزه، وقد وصف المكان الجغرافي في "نزيف الحجر" بطريقة هندسية، فالسارد في بداية الرواية قدّم وصفا فنيا للرسوم التاريخية التي تزين الصخور والكهوف الصحراوية "الرسوم تزين صخور الجبال والكهوف في الأودية"[2]. فهذا الوصف مرتبط بأحداث الرواية، وهذا من خلال العلاقة الوطيدة التي تربط بطل الرواية "أسوف" والحجر التاريخي الموجودة في وادي "متخندوش" "وهي صخرة تنصب في نهاية الضفة الغربية للوادي، عند التقائه بوادي "اينسيس" فيكونان معا واديا واحدا، عميقا، واسعا يستمر منحدرا نحو الشمال الشرقي حتى يصب في "أبرهوه" العظيم في "مساك ملت"[3]. وهذه الصخور رسمت عليها صورة " الودّان" ككاهن عملاق " يطل الكاهن محفورا في الحجر الصلد واقفا

[1] – إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص 24.

[2] – المصدر نفسه، ص 9.

[3] – المصدر نفسه، ص 8.

في قامته الطبيعية بل يبدو أطول واضخم من قامة الإنسان الطبيعية، ينحني قليلا نحو الودّان المقدّس الذي يفوق الودّان العادي حجما"[1].

وقد كان البطل "أسوف" مهتما بالصخور منذ صغره لهذا ربط السارد أحداث الرواية بهذا الأخير. " وقد اكتشفها في صغره عندما كان يهده الجري خلف القطيع الشقي"[2] وهذا ما جعل "أسوف" يسائل أباه دائما عن سرّ الصخرة وعلاقتها بالجنّ. "ففكرة وجود الجنّ والشياطين متأتية من فكرة الصراع بين الخير والشر، وهذا الصراع نجده عند الأمم جميعا، أمّا جيوش الخير فهي الملائكة وأمّا جيوش الشر فهي الشياطين والجنّ"[3]. يعني أنّ هناك صراع دائم بين الخير والشرّ لكن في الأخير تنتصر قوى الخير على الشر. " سأل أباه فضحك وقال: ربما كانوا من الجنّ ولكن من الجنّ الخير. الجنّ مثل الناس، ينقسم إلى قبيلتين: قبيلة الخير وقبيلة الشر ونحن ننتمي إلى القبيلة الأخرى. قبيلة الجن التي اختارت الخير"[4]. فالروائي ابراهيم الكوني في روايته يعرض لنا العادات والتقاليد الموروثة والمقدسة، وهذا بدافع معرفة حياة القبائل في الصحراء اللّيبية مركزا على قبيلة الطوارق التي ينتمي ويعيش فيها منذ الولادة، ويرى تفاصيل حياتهم ومسيرتهم المعيشية فحياتهم اليومية في صيد الودّان والغزلان وحراسة الرسوم والأحجار التي خلفها الأسلاف. " صيادون ذوو وجوه مستطيلة غريبة، يركضون خلف حيوانات كثيرة لم يعرف منها سوى الودّان والغزلان والجاموس البري"[5].

---

[1] – إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 8.

[2] – المصدر نفسه، ص 9.

[3] – ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 83.

[4] – إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 24.

[5] – المصدر نفسه، ص 9.

ففي هذه الرواية قام الروائي بربط المعتقد الديني بالفضاء الصحراوي، إذ تدور أحداث الرواية حول قداسة الحيوانات، وقتل "قابيل" لأخيه "هابيل" بدافع الحسد والحقد، وهذان المحوران مقتبسان من القرآن الكريم ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾[1]. فالعبرة من هذه الآية هي لفت انتباه الإنسان إلى أنّ الحيوانات الطيور تعيش في مجتمعات تشبه المجتمع البشري، أمّا في قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ ﴾[2]. أمّا العبرة هنا فهي حقد قابيل على أخيه هابيل لأنّه أطيب منه والأقرب إلى الله عزّ وجلّ، "هكذا فإنّ النصين الدينيين اللذين صدر بها "إبراهيم الكوني في روايته "نزيف الحجر وظفا بوصفها شاهدين على قداسة الحيوانات من جهة، وتهديم الإنسان للحياة على الأرض عبر قتله لحيواناتها وإنسانها من جهة أخرى"[3].

وظّف الروائي المعتقد الديني المستلهم من القرآن الكريم المتمثل في قصة "قابيل" "وهابيل"، فهذا التوظيف للتراث الديني يمثل جزءا أساسيا من ثقافة وحضارة المجتمع الصحراوي، لأنّه يعالج قضايا وواقع وذهنية ذلك المجتمع.

[1] – سورة الأنعام، الآية 38.

[2] – سورة المائدة، الآيات من 27 إلى 31..

[3] – محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط،2002، ص 141.

أمّا عن الدافع الذي جعل الروائي يوظف الأسطورة في رواية "نزيف الحجر" اهتمامه الكبير بتصوير المجتمع الصحراوي بنظامه القبلي الذي يشبه المجتمع البدائي، ووصف الماضي السحيق لمجتمع الصحراء، فقد قام الروائي بسرد قصة "هابيل وقابيل التي تشبه إلى حد ما القصة المذكورة في القرآن الكريم. لكنّه قام بجعلها على شكل أسطورة فالدافع لتوظيف الروائي لهذه الاسطورة هي التشابه بين ما يحدث في الحاضر وما حدث في الماضي فقد قام بالجمع بين عالمين الأسطوري والواقعي، فالصفة الرئيسية في شخصية "قابيل" الأسطورية استعيرت من الشخصية المعروفة وهي "قابيل" في الرواية الواقعية لارتكابه لجريمة القتل، وقد كانت الحلقة الدموية هي سرّ أحداث هذه القصة لكن "الكوني "جعلها في روايته على شكل أسطورة." فقابيل يمتلك الغدر والقوة وشهوة الإجرام في حين الثاني يمتلك الطيبة والعجز والسذاجة لأنّ قابيل الأسطوري "مات والديه وورثت تربيته خالته فسقته دم الغزال في إحدى الرحلات بالحماده عملا بنصيحة أحد الفقهاء ... ولكن الخالة وزوجها ماتا عطشا في تلك الرحلة، والتقت قافلة عابرة الطفل الرضيع وهو يحشو رأسه في جوف الغزال ويلعق الدماء والروث في البطن المبقور ويقال أنّ الدم هو الذي أنقذه من المصير الشقي الذي آلت إليه خالته وزوجها"[1].

من هنا بدأت رحلة الطفل "قابيل" مع اللّحم منذ الرضاعة، فهو طفل قاس يزرع الخوف ويفرض نفسه بقوة عليا وشخصية مستبدة " يهجم عليهم فيفرون، يكشف عن أسنانه كي يخيفهم ويطقطق بها مقلدا زنوج "يم يم" فيبكي الأولاد ويهربون إلى بيوتهم، ووجوههم صفراء من الرعب"[2]. وكذلك يرغب في أكل اللّحم سواء البشر "قابيل يا ابن آدم لن تشبع من لحم، ولن تروى من دم حتى

[1] – إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 91.

[2] – المصدر نفسه ، ص 95.

تأكل من لحم آدم وتشرب من دم آدم"[1]. وهو إنسان يمتلك غريزة حب البقاء. لو على حساب هلاك الأرض، ولا يستطيع النوم حتى يأكل من لحم الحيوانات. " إذا ازداد استهلاكه للحم، الآن يفطر بشاة ويتغذى بشاة ويتعشى بشاة وربما أكثر من شاة"[2].

كل هذه الصفات جعلت من "قابيل" أسطورة ذات طابع خيالي " فإرضاع الدم للوليد الرضيع في الفلكلور العربي المعاصر هو بمثابة اشارة تنبئ عن الشر والتعطش للدم في المستقبل"[3].

استطاع الروائي من خلال هذه الأسطورة التي استمدها من التراث الإسلامي أن يوظف العمق الشعبي للقصة الدينية وذلك بتصويره واقع المجتمع الصحراوي وإدانته لاعتداء الإنسان على الحيوان، وكذلك العداء للإنسان البشري، فهذه الأسطورة تحمل في طياتها شعور الإنسان بالخوف والرهبة لما تحمله من سفك الدماء واعتداء للطبيعة والحيوان.

II -علاقة الشخصية بالفضاء الصحراوي:

تحتل الشخصية أهمية خاصة في الأبحاث والدراسات الحديثة بوصفها عنصر أساسي في العمل الروائي، فقد عرّفها الناقد " تزفيطان تودوروف" في قوله: " أنّ مشكل الشخصية هو قبل كل شيء لساني لأنّه لا يوجد خارج الكلمات ولأنّه كائن ورقي"[4].

---

[1] – إبراهيم الكوني، نزيف الحجر ، ص 93.

[2] – المصدر نفسه، ص 100.

[3] – نفسه، ص 154.

[4] – تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص 71.

الشخصية الروائية عند الناقد " تودوروف" هي بمثابة الفاعل في العبارة السردية، وهي التي تقوم بالفعل في العمل الروائي.

يعتبر "أسوف" الشخصية الرئيسية في رواية "نزيف الحجر" "لإبراهيم الكوني"، إذ يمثل صورة الإنسان الاصيل في صحراء ليبيا، فهو يفضل العيش في عزلة مع صوت السكون " إذن أنت الجني – أسوف– الذي آثر العيش في الخلاء الخالي عن معاشرة النّاس"[1] فهو طفل يحافظ على الحيوانات ولا يأكل لحمها " لا لا أنا لم أذق اللحم، أنا لا اكل اللحم"[2]. ولا يعاشر الأنثى " أنت مسكين إذن لم تأكل لحم المرأة إنّه ألذ اللّحوم"[3] فقد حلّت فيه روح المحافظة على استمرارية حياة كل الأنواع، وهو رمز البراءة "مثل القلب لا يخدع"[4] ومصالحة الإنسان مع الطبيعة و مع الحيوان هذا ما تعلمه من والده حينما نهاه عن قتل وسفك دماء الحيوانات لأنّها مقدسة "الودّان" لأنّها أنقذت والده من مصير الموت، ونفس الحادثة تكررت مع "أسوف" حين كاد يسقط في الهاوية فبات معلقا في الهواء يمسك بنتوء صخرة حتى أشرف على الهلاك. فلم ينقذه أحد إلاّ"الودّان" " الجني الذي أنقذ حياته مازال يخطو في العراء المغطى بالأحجار ببطء وصمت وهدوء، حاول أن يتبينه في عتمة الفجر، أغمض عينيه وفتحها عدّة مرات قبل أن يركز في شبح الصبور، رأى ملامح. يا رب إنّه الودان"[5]. "فأسوف" حين أشرف على

[1] – إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 17.

[2] – المصدر نفسه، ص 20.

[3] – نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – المصدر نفسه، ص 23.

[5] – المصدر نفسه، ص 70.

الهلاك لم يفكر إلا بمصير والدته "ماذا ستفعل العجوز بنفسها في هذه الفيافي، ستموت عطشا وجوعا وتفترسها الذئاب"[1].

يعتبر البطل "أسوف" رمز للرجل الأسطوري لأنّه جمع بين العبادة والطقوس الأسطورية ففي بداية الرواية جعل الراوي "أسوف" مطيعا لله تعالى " يحشو "أسوف" ذراعيه في "رمل الوادي"، ويبدأ في التيمم لإنجاز صلاة العصر"[2]. وفي وسطها خجولا ومنعزلا " عاد إلى البيت مهزوما، فسمع اتهامات قاسية من الأم، وصفته بأنّه بنت وبكت، وقالت: " الذنب ليس ذنبك، المرحوم هو الذي خلق منك بعيرا يفزعه ظل الإنس"[3] وختامها ضحية من طرف "قابيل" لأنّه لم يدله على مكان تواجد الودان "إذ لم تدلنا على الودّان" نهارك أحرف، سأريك النجوم في الظهر، أنا لا أمزح"[4].

كما نجد في الرواية شخصيات أخرى من بينها:

1. **الوالد:** فهو رجل ورث معتقدات الصحراء وأساطيرها إذ ربى "أسوف" على الخجل وعدم معاشرته للناس، كما وصى ابنه على عدم سفك دماء الحيوانات خاصة الودّان لأنّها مقدسة.

2. **الوالدة:** وهي امرأة تحاول إخراج "أسوف" من العزلة التي ورثها من والده.

3. **مسعود** وهو صديق قابيل يساعده في تدمير الطبيعة وقتل الحيوانات.

4. **قابيل:** شخصية مستبدة ومتسلطة، تحب قتل الحيوانات والإنسان والأكل من لحومها، كما يهوى تدمير الطبيعة.

---

[1] – ابراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 67-68.

[2] – المصدر نفسه، ص 7.

[3] – نفسه، ص 37.

[4] – نفسه، ص 106.

أمّا الشخصيات الحيوانية فتظهر في:

الودّان: وهو حيوان أسطوري، كان سببا في هلاك أسوف من قبل قابيل تارة ومنجيا لأسوف عند سقوطه في الهاوية، وله دور بارز في الرواية، إذ يسيطر على مجمل الرواية.

الغزال: فقد مثّله الروائي على شكل أسطورة حين إرضاعه للولد قابيل وهو يضحي من أجل الآخرين. وفي الأخير أصبح هو الضحية من طرف الإنسان.

تدور أحداث هذه الشخصيات في فضاء صحراوي وما جاورها من سهول (أبرهوه) ووديان (متخندوش) (أينسيس) فهذه الطبيعة رغم جمالها إلا أنّها قاسية، فالراوي جعلها فضاءا أسطوريا في الأماكن من خلال تزين الصخور بالرسوم والنقوش التاريخية " هذه الصخور ثروة كبيرة، وهذه الرسوم مفخرة بلادنا"[1] وفضاءا مخيفا ومرعبا في الأحداث الغامضة والموحشة، فهو فضاء للموت وسفك الدماء، أما علاقة البطل "أسوف" بالفضاء الصحراوي فتتجلى في العلاقة الحميمية التي تربط "أسوف" مع الصخر الموجود في الطبيعة. وهذا لقيمة الحجر التاريخي الذي يجسد حياة الأولين من خلال تزيينها بالرسومات والنقوش ولهذا كان حارسا عليها لإصراره على التمسك بالأرض الصحراوية والعودة إلى الجدور، وكذا التمسك بتلك الأصالة الموروثة عن الأجداد " أنت من اليوم حارس وادي متخندوش أنت عيوننا في الوادي، سوف يأتي بشر كثيرون من مختلف الأجناس لمشاهدة هذه الآثار، عليك أن تراقبهم ولا تدعهم يسرقون الأحجار، لا تسمح لهم بتخريب الصخور، هذه الصخور ثروة كبيرة"[2].

[1] – ابراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 14.

[2] – المصدر نفسه، ص 14.

درس الروائي في عمله جوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية، باعتبار الصحراء فضاءا مفتوحا ينطوي بداخله أماكن متعددة تدور حولها الأحداث، مثل " وادي متخندوش"، " مساك ملت" "صخرة أبرهوه" ... كل هذه الأماكن تتحرك ضمنها الشخصيات، تشكل هوية العمل الأدبي وتعتبر الصحراء المكان الرئيسي في الرواية لأنّ الروائي ولد في بيئة صحراوية وعاش فيها واستمد منها عادات وتقاليد، وتمسك بها، هذا ما جعله في معظم رواياته خاصة رواية "نزيف الحجر يتحدث عن هذا الفضاء الصحراوي، لهذا يعد " الإنسان الصحراوي إذ ليس الفاعل في الصحراء، هي الفاعلة وهو يتلقى الفعل"[1]. الصحراء هي التي تؤثر على شخصيته ونمط تفكير الإنسان الصحراوي.

" وقد حرص الروائي على تقديم شخصياته وهي تتحرك في وسط اجتماعي معين، تبدو فيه خصوصية المكان والزمان وعمل أثناء تشكيله للفضاء المكاني الذي ستجري فيه الأحداث على أن يكون بناؤه منسجما مع مزاج وطبائع شخصياته وأن لا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنّه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي يعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكانه بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية بل وقد تساهم في التحولات التي تطرأ عليها"[2].

جعل الروائي كل الشخصيات الروائية في المكان المناسب، واللائق بها مثلا: نجد " قابيل" عندما ولد رضع من دم الغزال لهذا يحب أكل لحوم الحيوانات، فقد جعله الراوي يعيش في البراري،

[1] – صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرجمن منيف، ص 18.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، دار النشر المركزي الثقافي العربي.الدار البيضاء.ط2، 2009، ص 30.

بحثا عن اللّحم، أمّا "أسوف" فقد كان عكس قابيل يحمي الحيوانات ويدافع عنها ويحرص على بقائها لهذا كان راعيا وحارسا للصخور المنقوشة والمزينة بالرسومات.

III- الفضاء الصحراوي ودلائليته:

تعتبر " الصحراء" مكانا لا متناهيا وهو مكان مجهول الحد فلا يسعنا أن نرسم ملامحه، أو نجمع جوانبه أو ندرك شرائره، وهو أكثر الأقاليم التصاقا بسكان المنطقة العربية. إذ يتمتع بخصائص كثيرة كاتساع في المساحة وكثرة الكثبان الرملية.

جعل الروائي للصحراء مدلولات كثيرة، فقد كرر كلمة الصحراء عدة مرات "يعبرون الصحراء بالسيارات البرية ليشاهدوا الحجر"[1] " الصحراء كنز، مكافأة لمن أراد النجاة من استعباد العبد، وأذى العباد، فيها الهناء، فيها الفناء، فيها المراد"[2].

وكذلك من مدلولاتها جعلها فضاءا للصراعات القائمة بين البشر أو بين البشر والحيوانات من أجل البقاء فالروائي ربط الصحراء بالموت والهلاك والعناء وصلت إلى حد تغيير حياة البشر ونمط معيشتهم وتفكيرهم " عندما وجد اثار الصراع مع الودّان في وادي أينسيس أحسّ بالقلق ... لم يعرف ما إذا كان المجروح هو الودّان أو الأب، الآثار تظهر وتختفي"[3] وقوله أيضا " الرجل في الصحراء لابد أن يقتصد في شيئين: في الماء وفي الرصاص. إنّ الماء والرصاص في الخلاء مثل الهواء هما عماد الحياة إذا فقدت أولهما متّ عطشا، وإذا فقدت الثاني فتك بك عدو إنسان أو وحش أو أفعى"[4].

---

[1] – ابراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 8.

[2] – المصدر نفسه، ص 24.

[3] – المصدر نفسه، ص 33.

[4] – المصدر نفسه، ص 32.

فمن خلال هذا الصراع عمد الروائي إلى المزاوجة بين الإنسان والحيوان، أي أنّه احلّ روح الإنسان في الحيوان كما أحلّ روح الحيوان في الإنسان، ويتعلق الأمر بالنسبة إلى "أسوف" والودّان الذي حلت فيه روح والده وحل هو في "أسوف" من خلال المحافظة على الحيوانات.

وتعتبر الصحراء فضاءا للغزو الطلياني الذي غزى صحراء ليبيا من أجل سلب ثرواتها " انتشار أنباء زحف الطليان على السواحل ونيتهم التوغل جنوبا لغزو الصحراء"[1]. فالصحراء بالنسبة للرجل الصحراوي رمزا للانتماء يستمد مقوماته من البيئة المحيطة به رغم قساوة مناخها إلا أنّه حافظ عليها وعلى تراثها الثقافي، إذ نجد البطل "أسوف" يحافظ على تلك الثروات التي تركها الأجداد من استغلال الغزاة والسياح "افتح عينيك، انهم نهمون وطماعون، يسرقون أحجارنا ليبيعوها في بلادهم بالآلاف، بالملايين، لا تغفل عنهم، إياك، أنت العساس"[2]. "فأسوف" منسجما مع عالمه الصحراوي، حريصا على حماية قداسته من شرور الآخرين، فهو جزء منه إذ يرفض تدمير طبيعتها وتشويه آثارها. فالروائي جعل في مدونته عالم الصحراء مكانا جغرافيا متميزا عن غيره من الأمكنة الطبيعية إذ يراها جحيما وفردوسا في آن واحد، مركزا اهتمامه على قبيلة الطوارق التي ينتمي إليها هو بالولادة. بحيث يصف كيفية تعايش هذه الشعوب مع قساوة هذا العالم الصحراوي، في حين يجعل هذا الفضاء مقبل للسياح الأجانب لما تمتلكه من آثار حجرية رسمت عليها صورة الودّان ككاهن عملاق إلى جانب تلك

[1] – ابراهيم الكوني، نزيف الحجر ، ص 32.

[2] – المصدر نفسه ، ص 14.

المناظر الطبيعية الخلابة التي تجذب السياح خاصة عند غروب الشمس وشروقها " تشرق الشمس وتسكب أشعتها في وجوههم كل يوم"[1].

كما تستمد الهاوية بعدا دلاليا، فهي رمز للسقوط من الأعلى إلى الأسفل، ما يستدعي جمع كل القوى الذاتية الكامنة في النفس من أجل الدفاع وعدم السقوط والتحمل والصبر عند الشدائد، كذلك الصحراء تتطلب من سكانها ذلك الصبر والتحمل على المتاعب والعناء اليومي في ذلك العالم القاسي.

ومن خلال هذا تصبح دلالة الصحراء عند الكوني، فضاء للصحراء بين الشمس والحجر، بين الطبيعة والإنسان، بين الموت والحياة بين الإنسان والحيوان. قد عمد في هذه الرواية إلى المزاوجة بين الطرفين مثل ما حدث مع والد "أسوف" والدان، لتأخذ هذه الحكاية أبعادا أسطورية خرافية.

[1] – ابراهيم الكوني، نزيف الحجر، ص 8.

خاتمة:

لقد حاولنا في بحثنا هذا إعادة الاعتبار لمكوّن أساسي من مكونات الخطاب الروائي وهو الفضاء الصحراوي الذي لم يحظ باهتمام كبير من قبل الباحثين و الدّارسين على غرار المكوّنات الأخرى، فرواية "تزيف الحجر" هي بمثابة وسيلة للاهتمام بهذا المكوّن، ومن خلال ما تقدم توصلنا إلى جملة من النتائج تتمثل في أنّ الفضاء عنصر مهم في الخطاب الروائي، وقد احتّل مكانة هامة ضمن بنية الرواية لا يمكن الاستغناء عنه ،وهو جوهر الكتابة الروائية،اذ يقوم بجمع عناصر النص الروائي وتلاحم أجزائه، فمن خلال تحليلنا للرواية نلاحظ أنّ الروائي وظف بشكل كبير الفضاء الصحراوي الذي هيمن في هذه الرواية، فمن خلاله تدور الأحداث، وتتحرك الشخصيات، فهو ذو أهمية كبيرة في تطوير أحداث النص السردي، فعالم الصحراء فرض نفسه بقوة على النص الروائي عند "الكوني" بحكم جاذبيته، وطقوسه، وعاداته وأساطيره، فالصحراء في الرواية ليست مجرد حيز مكاني جرت فيه أحداث الرواية، ولكنها حضور مكثف شغل فضاء الرواية و هذا الحضور موجود على كامل النص الروائي، وقد تم بناء الشخصيات في رواية "تزيف الحجر" بطريقة منظمة كل شخصية تقوم بدورها في المتن الروائي،إذ نلاحظ انّ هناك علاقة وثيقة بين الشخصيات والفضاء الصحراوي ،فعلاقة الشخصية الرئيسية بالفضاء الصحراوي هي علاقة حميمية تتمثل في الدفاع والحفاظ على استمرارية حياة كل الانواع، و مصالحة الانسان مع الطبيعة ،وكذلك حماية الفضاء الصحراوي من الهدم والخراب والسرقة التي يتعرض لها من قبل السيّاح الاجانب

وبهذا يبقى موضوع الفضاء من الموضوعات المثيرة للاهتمام والبحث من قبل الباحثين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أ/المصادر:

1- الكوني إبراهيم ، نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط3، 1993.

ب/ المراجع:

1/ المراجع العربية:

1- إبراهيم صالح، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 2003.

2- إبراهيم عبد الله، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،ط 1، 2005.

3- املودة محمود محمد، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، دراسة في النقد الثقافي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2010.

4- بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن. الشخصية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 2009.

5- بدري عثمان، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2000.

6- البنداق محمد علي، الرواية في ليبيا قراءة في النشأة والتطور، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، دط، دت.

7- بنكراد سعيد ، السميائيات السردية منشورات الزمان ، الرباط . د ط، 2001.

8- الحمداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، دط، 1991.

9- ربابعة موسى، جمالية الأسلوب والتلقي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2010.

10- رشيد كريم، المكان، الفضاء، الحيز، من اجل فك الاشتباك الإصطلاحي، مجلة عمان، ع 43، كانون الثاني، 1999.

11- شعبان هيام، السرد الروائي في إعمال نصر الله، دار الكندي، د ط،2004 .

12- صالح نظال، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ،منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2001.

13- عزام محمد، شعرية الخطاب السردي من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2005.

14- عيلان عمر، الايدولوجيا وبنية الخطاب، في روايات عبد الرحمان بن هدوقة، دراسة سوسيو بنيائية، دار النشر، الجزائر، دط، 2008.

15- الفيصل سمر روحي، الرواية العربية البناء والرؤيا، مقاربات نقدية منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2003.

16- كحلوش فتيحة، بلاغة المكان، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 01 ، 2008.

17- الماكري محمد، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهرتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 01، 1991.

18- مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة ، الكويت، دط ديسمبر 1998.

19- مسعود ميخائيل، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين،ط01 ، سبتمبر 1994.

20- النصير يسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط1986،01.

21- الهاشمي يشير، خلفيات التكوين القصصي في ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا ط 01، دت.

22- وتار محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد كتاب العرب. دمشق،دط، 2002.

23- ولعة صالح، المكان و دلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، ط01، 2010.

24- يقطين سعيد، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01 ،1997.

25- يقطين سعيد، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 01، 1992.

2/ المراجع المترجمة:

1- تودوروف تزفيطان، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط01 ، 2005.

2- ريكور بول، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.ط01،2003

3- غاستون باشلار، جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط06، 2006.

-المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف /1119، طبعة جديدة، تولي تحقيق لسان العرب نخبة من العاملين بدار المعارف، المجلد الخامس.

2- الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ،أساس البلاغة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998.

ملحق

ملخص الرواية:

تقوم رواية "نزيف الحجر" على جوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية القاسية، ووصف العلاقة بين الإنسان وحيوان الصحراء، وتدور أحداث هذه الرواية في الصحراء الليبية وبالضبط في وادي "متخندوش" أين تتواجد أهم صخرة مهددة بالإهمال والتدمير من قبل السيّاح الأجانب، حيث رسمت عليها صورة "الودّان" ككاهن عملاق وهو عبارة عن حيوان أسطوري له دور بارز في أحداث الرواية إذ سيطر على مجمل الرواية، فبطل هذه الرواية" أسوف" الذي يمتلك الطيبة ويهوى العزلة وعدم معاشرة النّاس، وتربطه علاقة وثيقة مع هذا الصخر الموجود في الطبيعة وهذا لقيمة الحجر التاريخي الذي يجسد حياة الأولين من خلال تزينها بالرسومات والنقوش وكان دائما يسائل أباه عن هذه الصخرة العظيمة وعلاقتها بالجن لأنّه شديد الاهتمام بها، ولهذا كان حارسا عليها بحيث عينته مصلحة الآثار حارسا على هذه الصخور التي اكتشفها في صغره والتي يزورها السيّاح الأجانب لكن البعض منهم يفضل صيد الودّان، وهو الحيوان الذي كان السبب الرئيسي في وفاة والد البطل أسوف من خلال مطاردته للودّان، في حيث نجد" قابيل" رمز الشر يهوي سفك الدماء وتدمير الطبيعة فهو شخصية مستبدة ومتسلطة تحب قتل الحيوانات و الأكل من لحومها، ومرشده مسعود الذي يساعده في تدمير الطبيعة يطلبان من أسوف أن يدلهما على مكان تواجد الودّان، ولكنّه يرفض ويختار الموت على أن يدلهما على مكان وجوده وذلك من أجل الحفاظ على الطبيعة الصحراوية من التدمير والسرقة التي تتعرض لها، و بالتالي يقوم قابيل ومرشده مسعود بشد أسوف على الصخرة، ويشرف قابيل على ذبح أسوف فتسيل الدماء على اللّوح الحجري، وينزف الحجر دما ويعم الصحراء طوفان

يغسل خطايا البشر، وتنتهي هذه الملحمة التي تجسد الصراع بين قوى الخير والشر في العالم والعلاقة التي تربط الإنسان بحيوان الصحراء والطمع والجشع اللّذان يسيطران على الإنسان.

الفهرس:

كلمة شكر..... /
إهداء..... /
المقدمة..... أ-ج
المدخل: الرواية الليبية وهاجس الفضاء الصحراوي عند الكوني..... 5

الفصل الأول:

مفهوم الفضاء وأهميته

المبحث الأول: مفهوم الفضاء لغة واصطلاحا..... 10
المبحث الثاني: الفرق بين الفضاء الروائي والمكان والحيز..... 16
المبحث الثالث: أهمية الفضاء الروائي وأنواعه..... 18

الفصل الثاني:

الفضاء الصحراوي معتقدا وأسطورة ودلالة

المبحث الأول: الفضاء الصحراوي والأسطورة وعلاقته بالمعتقد..... 29
المبحث الثاني: علاقة الشخصية بالفضاء الصحراوي..... 35
المبحث الثالث: الفضاء الصحراوي ودلائليته..... 40
الخاتمة..... 43
قائمة المصادر والمراجع..... 44
ملحق..... 48
الفهرس..... 50